

## النماذج الإنسانية في الآداب العالمية

د. قاسي محمد عبد الرحمن

### مقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن أهمية النماذج البشرية في الدراسات الأدبية المقارنة، ودورها الفاعل في مختلف الآداب العالمية، وتحديد ملامح هذه النماذج، بالإضافة إلى تبيان قدرة الأديب على توظيف هذه النماذج. يُعرف النموذج الإنساني في الأدب المقارن على أنه " الصورة التي يعطيها الكاتب لشخصية من شخصيات عمله الأدبي، تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التي كانت من قبل في عالم التجريد أو متفرقة في مختلف الأشخاص." ١ والنموذج الإنساني يهتم بدراسة شخصية الشعوب أو الجماعات الإنسانية مثل شخصية العربي أو الفرنسي أو يقوم بتصوير الجماعات المهنية كشخصية الكاهن أو الأستاذ أو الطبيب أو الفلاح. ٢. إضافة إلى هذا فإن النماذج الأسطورية لها الحظ الوفير في مادة الأدب المقارن؛ لأنها تساعد كثيرا على إبراز الحكايات القديمة التي تشوهت لتقدمها، مثل أسطورة أوديب وجماليون وفاوست، إلى جانب ذلك الحكايات الشعبية التي أنتجها الخيال الشعبي مثل نموذج الساحر والفول والعفريت وما إلى ذلك من الشخصيات الخرافية.

النماذج قد تكون شخصيات من مصادر إنسانية عامة، أو تاريخية، أو مأخوذة من مصادر أسطورية، أو دينية، أو من الثقافة الشعبية، أو مستمدة من التاريخ.

### ١- نماذج إنسانية عامة:

يتطرق الباحث فيها للكشف عن الوسائل الفنية التي جعلت الكاتب يصور نموذجا إنسانيا عاما في المسرحيات أو القصص أو الشعر الغنائي، ومثل هذه النماذج لا تُحسب على الأدب المقارن إلا إذا انتقلت تاريخيا من أدب أمة إلى أدب أمة أخرى كما هو متعارف عليه في منجز الأدب المقارن. ومن أهم هذه النماذج العامة نموذج البخيل.

### أ- نموذج البخيل في الأدب

#### اليوناني:

أول مسرحية تناولت هذه الشخصية

قد يعيد بها قليلا أو كثيرا عن منشئها الأول.

كما قد تتعدد نواحي المعنى الأدبي للشخصية على يد مختلف الكتاب، بل قد تتضاد هذه المعاني وتتضارب تبعاً لتأويلات المؤلفين واتجاهاتهم، نأخذ على سبيل المثال قصة كليوباترا التاريخية؛ فقد تناولها شكسبير من زاوية المرأة المُرعبة والأنانية، عكس ما نجده عند أحمد شوقي الذي حاول في الإطار التاريخي ذاته أن يبرز الجانب الأخلاقي والوطني لهذه الشخصية، وتبرير الأعمال الطائشة التي كانت تقوم بها. كما نجد في كثير من الأحيان، أن الكاتب يأخذ لب الموضوع، ثم بعد ذلك ينسج عليه تفاصيل الشخصية التي يود تصويرها، وهذا ما نجده عند الكاتب الإنجليزي برنارد شو في مسرحيته " بجماليون ". وسنفضل الحديث فيما يلي عن هذه لنماذج العالمية، علما أن هذه

وأهم ما في هذا النوع من الدراسات هو رصد نمو هذه الشخصيات بين أدب وأدب آخر الذي تسببه العادات والتقاليد إلى هذه الشخصية، بحيث أن الدارس لها في الأدب المقارن يهتم بما يلي:

أ- رصد قدرة الكاتب على تطوير الموضوع.  
ب- ملاحظة آراء الكاتب في التبرير أو الحكم على موضوعه وملاحظة قدرته الفنية.

ج- رصد التغيير الحاصل في المثل الاجتماعية والمواقف الأخلاقية حسب تبدل الزمن والمجتمع. ٣.

والأدب المقارن لا يحفل بدراسة هذه النماذج إلا إذا صارت عالمية، وانتقلت من أدب أمة إلى أدب أمة أخرى، وقد تحتفظ بعض الخصائص التي كانت لها في الأدب الذي نشأت فيه وتكتسب مع ذلك بعض الخصائص الجديدة التي يضيفها الأديب - الذي تناولها موضوعا للدراسة - عليها

Karlo Goldoni وعنوانها "البخيل"، وهي ملهامة في فصل واحد، وفيها يرفض البخيل امبورجيو Amborgio تزويج ابنة زوجته بمن تحب بخلا بجهازها، فيقبل الفتى زواجها دون مال على شرط أن يوصي لها أمبورجيو بكل ما يملك.

## ٢- نماذج إنسانية مصدرها

### ديني:

### - يوسف وزولبخا في الأدب

### الفارسي:

كانت قصص القرآن الكريم مصدرا استفاد منه كثير من شعراء الفرس، ٧٠ فقد كانت هناك بعض النماذج الفاعلة في الحياة الاجتماعية، استطاع من خلالها الأدباء أن يوصلوا الرسالة المرجوة منها وتحدث أثرها في الناس.

من هذه الشخصيات "يوسف وزولبخة" في الأدب الفارسي، فقد أخذت عن القرآن الكريم، ثم عن التوراة وشروحه. وقد صور هاتين الشخصيتين في الأدب الفارسي الفردوسي (ت ١٠٢١م)، قضى هذا الأديب جانبا من حياته في مدح الملوك، ثم اتجه إلى النظم في القصص الديني واتخذ منها مادة نظم جديدة، ومن بينها قصة يوسف وزولبخا، ثم تناولها بعد ذلك الشاعر عبد الرحمن الجامي (ت ١٤٩٢م).

يُظهر الجامي أن ليوسف ميول صوفية، فقد كان يعتقد ككل الصوفية أن التأمل في الجمال الإنساني يقود إلى الله ذو الجمال المطلق. فتجده فيما ترويه القصة، أنه في يوم من الأيام أتت إليه الأميرة المصرية مولعة بحبه، فيقول لها ناصحا: "الجمال في الخلق انعكاس عابر

السابق، أن بلوتس صور البخيل من زاوية واحدة، فهو لم يتعمق في تصوير هذه الظاهرة من الناحية النفسية، واكتفى فقط بإظهار عاقبة البخل وعدم تمتع البخيل بأمواله.

## ب- نموذج البخيل في الآداب الأوروبية:

من الأدباء الذين تناولوا نموذج البخيل، الكاتب الفرنسي موليير Molière في مسرحيته الشهيرة "البخيل"، وقد تأثر فيها بمسرحية بلوتس إلا أن موليير تفوق عليه في مدى التعمق في تصوير هذه الرذيلة الاجتماعية.

صور موليير شخصية أرباجون Harpagon مثلا للبخيل الذي طغت عليه هذه الآفة، حتى أن عاطفة البخل عنده لم تستطع أن تنقلب على عاطفة الحب، وقد طبع الكاتب مسرحيته هذه بطابع الذي يقرب الضحك المر من البكاء؛ ويتمثل ذلك في المسرحية في المشهد الذي يتحدث فيه كيروك عن حبه لابنة البخيل أرباجون الذي يتصور أنه يتكلم عن الصندوق المسروق، بالإضافة إلى أن سرقة الكنز وجدت بطريقة كوميدية، فضلا عن المنولوج الذي يتساءل فيه البخيل عن كيفية الوصول إلى الكنز.

لقد أبدع موليير في تصوير هذه الرذيلة الاجتماعية، وتجلت فيها عمق المعاني في التحليل النفسي لشخصيات المسرحية، رغم محاكاته للقديم وتأثره به في الكثير من المشاهد. ٦ وتوالت بعد ذلك المسرحيات التي اعتنت بتصوير نموذج البخيل، وأشهرها مسرحية الشاعر الإيطالي كارلو جولدوني

للشاعر اليوناني: "ميناندر" Minander (ت ٢٩٠ ق م)، لكنها ضاعت ولم تصل إلينا. وحاكها الشاعر اليوناني "بلوتس" Plotus في مسرحية له بعنوان "أولوريا" Aulaluria أو "وعاء الذهب" ٤. ويتلخص موضوعها في أن شيخا بخيلا يدعى "أوكليون" Euclion كان يخبئ ثروته الذهبية في وعاء في منزله وهو يعيش في فقر مدقع، خوفا أن يظن أحد أنه وافر المال، ويحدث أن يخطب جاره "ميجادوروس" Megadorus ابنته "فايدريا" Phaedria. ولكن الأب يتردد لأنه يظن أنه اكتشف كنزه ثم يقبل بعد هذا التردد، وفي حفل العرس يحضر المدعوون والظاهرون من جانب ميجادوروس، فيطردهم الأب شر طردة، لأنه يرى في كل واحد منهم سارقا لكنزه في المستقبل، ثم يرى ديكا يحوم حول موضع الذهب في البيت فيذبجه، ثم يحمل كنزه من مكان إلى آخر ويكثر من الصلاة للآلهة حتى تحمي كنزه، ويلحظه ذات مرة خادم من خدم "ليكونيدوس" Lyconidus، الذي كانت له علاقة عاطفية من قبل مع ابنته ويفهم من الصلاة مكان الكنز ولكن العجوز يشعر به فيطرده، ويحمل الذهب إلى غاية بعيدة عن الناس ويتبعه الخادم بحذر، ثم يسرق الذهب بعد أن ينصرف الشيخ، وعندما يعود لا يجد الكنز فيجن جنونه ويرجع إلى المنزل ويعلم أن ابنته متعلقة "بليكونيدوس" والحب متبادل بينهما منذ مدة طويلة رغم فقر الفتاة وغنى حبيبها، وتزول عقبة الفقر حين يحمل الخادم الكنز الذي سرقه مهرا للفتاة كي تتزوج من سيده، فيعتقه سيده ويتم الزواج. ٥

نلاحظ من خلال العرض الموجز

Marmontel عام ١٧٥٠م، ومسرحية أخرى بالعنوان نفسه لألكسندر صوميه A.Sommet عام ١٨٢٤م، ثم مسرحية "كليوباترا" للسيدة جيرا ردن Mme de Gérardine عام ١٨٤٧م. وقد صور هؤلاء الأدباء كليوباترا تلك المرأة المولعة بلذات العيش والانتصار بالخدعة واعتماد المكر والحيلة.

كما سبق أن ذكرنا فإن شخصية كليوباترا دخلت الأدب العالمي عن طريق الأديب الشهير شكسبير وذلك من خلال مسرحيته "أنطونيوكليوباترا".

وأحداث القصة تتلخص أن كليوباترا لما أحست بالمكائد التي تدبر حولها لعزلها عن عرشها في مصر، اتجهت إلى سوريا لتجيز جيشها، وهناك التقت يوليوس قيصر الذي فتنه جمالها فساعدتها على ارتقاء عرشها، وعندما قُتل يوليوس قيصر انضمت كليوباترا إلى الجانب الذي يتزعمه أنطونيو. ولأنها تأخرت عن تقديم الولاء له فقد صمم على معاقبتها، ولكن ما إن رآها حتى سحره جمالها ونسي العقاب وانشغل بحبها عن أعماله السياسية. وكانت هي أيضا تبادلته الشعور نفسه ولكنها كانت تمزج الحب بالسياسة والعاطفة بالمصلحة، وكانت مع حبها لأنطونيو تنكر في مملكتها وفي تثبيت عرشها وتهئية الجو لابنها ليتولى عرش مصر بعدها، وكانت أخبار القائد أنطونيو تصل إلى القيصر أوكتافيوس في روما بعد أن يضيف إليها الوشاة ما يعكس صفو العلاقة بينها. وأخيرا يقرر أنطونيو أن يسافر إلى روما ليتفاهم مع القيصر وإزالة سوء التفاهم ويتزوج خلالها أنطونيو من أخت القيصر ولكن سرعان ما يفر إلى مصر.

البشرية العالمية من بينها شخصية "كليوباترا".

### ١- كليوباترا في الأدبين الأوروبي

والعربي:

#### أ- كليوباترا في الأدب الأوروبي

(شكسبير):

تعتبر شخصية كليوباترا من الشخصيات التاريخية التي لقيت حظا وافرا في الأدب، فقد اهتم بها الأدباء منذ العصور القديمة. تمتاز في قصة كليوباترا حوادث سياسية وحب وقتال، وهي تمثل الصراع الذي كان بينها وبين أوكتافيوس بمساعدة أنطونيوس. وقد لعبت كليوباترا دورا أساسيا في هذا الصراع بجمالها الذي أوقع في حبها القائد الروماني أنطونيوس. تناول كليوباترا عدد كبير من الأدباء، وأول مسرحية فرنسية في عصر النهضة أنفها الشاعر جودل Etienne Jodelle (١٥٢٢م-١٥٨٢م) وعنوانها "كليوباترا الأسيرة"، ثم جاء بعده صموئيل دانييل Samuel Daniel (١٥٦٢م-١٦١٩م) الإنجليزي ومسرحيته "كليوباترا"، وقد صارت الشخصية عالمية بعد أن تناولها شكسبير في مسرحيته الشهيرة "أنطون وكليوباترا" ثم بعد ذلك تناولها الإنجليزي جون دريدن John Dryden (١٦٢١م-١٧٠٠م) في مأساته "العالم المقود" ١٠. ثم تناولها برنارد شو Bernard Shaw (١٨٥٦م-١٩٥٠م) في ملهاته "القيصر وكليوباترا".

من أشهر المسرحيات في الموضوع ذاته، مسرحية لاشابيل La Chapelle وعنوانها "موت كليوباترا"، ثم مسرحية "كليوباترا" التي أنفها مارمونتل

لا يطول بقاءه كنضرة الوجه، فإذا أردت الخلود فتوجهي إلى أصل الأشياء كلها، فجمال الإنسان نسبي أما جمال الله كامل مطلق، والخلود يكون في أصل الأشياء وليس في فرعها" ٨. وبعد حديث يوسف هذا زهدت زوليخا في الدنيا.

ترى زوليخا في حلمها وهي صغيرة يوسف قبل أن تعرفه، ويبدو لها في ذلك الحلم أنه سيكون زوجها في يوم من الأيام. وتبقى على عذريتها طيلة زواجها بعزيم مصر على شاكلة الزواج الصوفي. وتظل العاطفة قوية لدى زوليخا، ويزداد حبها ليوسف يوما بعد يوم إلى أن طعنت في السن، مع ذلك تبقى وفية لحبيب رأتها في منامها. وبعد وفاة زوجها تعتزل لتعيش في كوخ، كما تظل ليوسف نظراته الصوفية حتى يعلم ما تكنه له زوليخا من حب وأنها قد هرمت وعميت، فيبحث عنها حتى يعلم أنها تقيم في كوخ، فيدعو الله أن يرد لها شبابها وبصرها فيستجيب الله له، فيتزوجها ثم لا يلبث بعد زواجه أن يمل نعيم الدنيا فيسأل الله أن يعجل برحيله فيكون له ذلك ثم تموت زوليخا بعد ذلك حزنا عليه ٩.

والملاحظ أن قصة الجامي هذه أنها ابتعدت كثيرا عن القصة الأصلية الواردة في القرآن الكريم، فالكاتب أحاطها بمسحة صوفية.

### ٣- التماذج البشرية ذات الأصل

التاريخي:

اعتنى الأدب المقارن بالتماذج الإنسانية ذات الأصول التاريخية، وبما أنه يدرس التأثير والتأثر بين الآداب، فقد اهتم بدراسة الشخصيات والتماذج

العربي.  
الشاعر في هذه المسرحية يرد الاعتبار  
لكليوباترا لا بوصفها ملكة وإنما بوصفها  
المواطنة المصرية الشرقية المخلصة  
لوطنتها الذي تؤثره على حبيبها تعيش  
وتموت لمجد مصر.

يرى أحمد شوقي أنها عندما تفر من  
"أكتيوم" موقعة الحرب، وتأتي أن تشارك  
في الحرب مع أنطونيوس ضد أكتافوس، فإن  
غايتها في ذلك أن ترك البطلين أحدهما  
يضعف الآخر وتكون هي الأقوى على  
المنتصر منهما، فنجده يبرر موقفها على  
لسانها قائلاً:

كنت في مركبتي وبين جنودي

أز الحرب والأمور بفكري

قلت روما تصدعت فترى شط

را من القوم في عداوة شطر

بطلاها تقاسما الفلك والجبي

ش وشبا الوغى ببر وبحر

فتأملت حالتي ملياً

وتدبرت أمر صحوب وسكري

وتبينت أن روما إذا زالت

عن البحر لم يسد فيه غيري

فنسيت الهوى ونصرة أنطونيو

س حتى غدته شر غدر

علم الله قد خذلت حبيبي

وأبا حبيبي وعوني وذخري

موقف يعجب العلا كنت فيه

بنت مصر وكنت ملكة مصر ١٤

فكليوباترا تعترف هنا بأنها أخطأت

في حق حبيبها، " وأنها حين انسحبت من

الواقعة لم تقدر الأمر من الناحية العاطفية

" ١٥.

يأتي أنطونيو ومعه مجموعة من

الجنود، ويخبر كليوباترا بأن الحرب لم

عاشقة " فعندما سافر أنطونيو إلى روما  
لإصلاح الأمور بينه وبين القيصر، طلبت  
من وصيفتها أن تأتيها بالمخدر لتفقد  
وعياها، فلا تشعر بغياب أنطونيو. وكانت  
كلما فكرت فيه وهو غائب عنها، تجرعت  
من ألم الفراق ومرارته ما يفوق طعم  
السم " ١٣. وحتى عندما أرادت أن تموت،  
اختارت الطريقة السهلة في موتها حتى  
لا تشعر بالعذاب، كما حرصت كثيرا بأن  
تتزين وتتجمل كي تلقى أنطونيو في أبيه  
منظر لها كما عودته دائما في حياتها، مما  
يدل على حبها الكبير له.

إضافة إلى صورة الحب، كانت هناك  
صورة أخرى تمثل الكرامة والكبرياء، فلما  
انتحر أنطونيو خشي قيصر روما أن تنتحر  
هي كذلك ويقوت على نفسه فرصة الظفر  
بها كأسيرة عنده، ولهذا بذل كل ما في  
وسعه على إبقائها حية، وكان يسعى إلى  
طمأنتها على نفسها ومالها وعرشها، ولكن  
كليوباترا فطنت لما يراد بها، ففضلت الموت  
على أن تعيش ذليلة أسيرة في روما عند  
القيصر.

كانت هذه قصة كليوباترا مع أنطونيو،

وقصة الحب الذي أدى بهما إلى خسارة  
الحرب ثم الانتحار.

### ب- كليوباترا في الأدب العربي (أحمد شوقي):

بعد رجوع القصة إلى موطنها الأصلي

(مصر)، استهوت هذه الشخصية الفريدة

من نوعها أمير الشعراء أحمد شوقي.

أراد شوقي بدفاعه عن كليوباترا أن

يرد على الكتاب الأوروبيين، وذلك من

خلال مسرحيته "مصرع كليوباترا"، هذه

المسرحية التي لاقت نجاحا كبيرا في الأدب

على إثر هذه الحادثة، تتعدد الأمور  
بين أنطونيو والقيصر وتصبح الحرب  
بينهما ضرورة لا مفر منها. تبدأ الحرب  
بينهما أولا في البحر، غير أن أسطول  
أنطونيو لم يكن مستعدا فيهمز في تلك  
المعركة، ثم تأتي بعد ذلك المواجهة  
البرية، وكان جيش أنطونيو هذه المرة أكثر  
استعدادا لذلك نجده ينتصر على عدوه  
في بادئ الأمر، وعاد إلى كليوباترا فرحا  
بنصره المؤقت طالبا الراحة بين أحضانها  
من عناء القتال يوما كاملا. وبهذا لم  
يتحمل أنطونيو مسؤولية الحرب، وراح  
يخلط بين الغرام والقتال وتحول النصر  
إلى هزيمة ساحقة.

بعد هذه الهزيمة فضل أنطونيو  
الموت على العيش أسيرا فانتحر، ووجدت  
كليوباترا نفسها وحيدة توشك أن تقع  
أسيرة في يد أوكتافوس المنتصر الذي  
سيفرح بأسيرته ويحملها معه إلى روما  
ويعرضها على الجماهير رمزا حيا على  
انتصاره، فضلت الانتحار هي الأخرى،  
وبهذا تنتهي قصة كليوباترا وأنطونيو.

وقد ألقى المؤرخون على عاتق  
كليوباترا كل أخطاء أنطونيو؛ " فتخاذه  
في القتال وضعفه في مواجهة الأعباء،  
مرده في رأيهم إلى تلك المرأة الساحرة  
التي أنزلته من المجد إلى الحضيض،  
فتقضت على حاضره ومستقبله قائدا  
رومانيا أصيلا " ١٢. والحقيقة أن أنطونيو  
هو وحده المسئول عن تصرفاته بحيث أنه  
يتحلى بشخصية متذبذبة اندفعت وراء  
الحب ولم تر في الوجود شيء غيره.

هذه بعض صفات شخصية أنطونيو.

أما كليوباترا فواضح من صورتها عند  
شكسبير أنها كانت هي الأخرى محبة

الاعتبار لهذه الشخصية الفذة التي يعتبرها المصريون مثالا للوطنية.

#### ٤- نماذج إنسانية مأخوذة عن الأساطير: بجماليون في الأدب الإنجليزي والأدب العربي؛

قبل التطرق إلى قصة بجماليون في الأدبين الإنجليزي والعربي، يجدر بنا أن نعطي ملخصا عن الأسطورة القديمة لمعرفة كيفية تأثر برنارد شو وتوفيق الحكيم بهذه القصة.

بجماليون هو فنان من قبرص هام بجمال تمثال من صنع يديه، فدعا الآلهة فينوس أن يتزوج من امرأة تشبه التمثال، ففعلت الآلهة أكثر من ذلك؛ إذ وهبت التمثال نفسه الحياة. وكان هذا بمثابة عقاب لبجماليون الذي كان يرفض الزواج. ويمكن أن نتصور كيف يمكن لبجماليون أن يزاول حياته مع التمثال الذي أحبه بعد أن بعثت فيه الروح، فتلك الروح أفقدته جمالية الخلق التي كان يحس بها الفنان من قبل، وهذا دليل على إعجاب الفنان بخلقه الفني.

إن أول من تحدث عن هذه الأسطورة في الأدب، هو الروماني أوفيد Ovid (٤٢ ق.م - ١٧ م) في مجموعة قصصه الموسومة بـ (المسخ)، ثم تناولها العديد من الأدباء خاصة الانجليز، ومنهم جون مار ستون في قصيدته (نفخ الروح في صورة بجماليون)، كما تناولها وليام شوبنك في ملهاة بعنوان: (بجماليون وجالاتيا)، وأشهر هذه المسرحيات التي تناولت هذه الأسطورة هي مسرحية برنارد شو التي عنوانها (بجماليون). نشرت لأول مرة في

ويخبره نبأ انتحار كليوباترا.  
- أوليوس:

مولاي مهلا في الظنون واتند

إن من الظن اتهامها وأذى

أنت على مالك من مروءة

رميت بالغدر أحب من وفي

- أنطونيو: ماذا تقول؟

- أوليوس:

كليوباترا انتحرت

بطعنة الخنجر في صدر الضحى

- أنطونيو:

يا للسماء انتحرت؟ أين أين

ولم؟ وكيف كان ذلك؟ ومتى؟ ١٨٩

وعندها يقتل أنطونيو نفسه حزنا

عليها، غير أن هذا الخبر كان مجرد

كذبة اختلقها أوليوس للقضاء عليه. في

الجهة المقابلة نرى كليوباترا مع الكاهن

في المعبد، يريها - الأفاعي التي سوف بها

تنتحر- وتساله إن كان الموت بسمها يشوه

خلقتها وينقص من جمالها، فيجيبها أن

سم الأفاعي لا تترك أي أثر ولدغها كوخز

الإبر.

وعندما يأتيها الجند بجثة حبيبها

وتكتشف الكذبة التي أخبروه بها، تصر

أكثر على الانتحار، حتى لا تكون في مطمع

قيصر الروم.

هكذا تكون إذن نهاية الملكة المصرية

الأسطورية، التي شغلت كتاب الغرب

والعرب بشخصيتها الفريدة، فكليوباترا

عند أحمد شوقي مثال للمرأة المصرية

الغيورة المحبة لوطنها، وهي في هذا الشأن

تقول:

أموت كما حييت لمجد مصر

وأبذل دونه عرش الجمال ١٩

وبهذا حاول أحمد شوقي أن يرد

نتته بعد، وجاء من أجل أن يقضي معها الليل ويعود إلى المعركة مجددا، وتخبره بأن هذه مجازفة قام بها وما كان عليه أن يترك أرض المعركة حتى ينتصر نهائيا، وهي في ذلك تقول:

تركتهم لغد؟ هذي مجازفة

غد غيوب أسرار وأقدار

- أوريوس أنت بضن الـ

قتال أعلم مني

الحرب فنك أورو

س والسياسة فني

فكن بحقك عوني

وقل لقيصر عني

إن المنى لم تقتصره

بل قصر المتمني

فلو صبرتم قليلا

وسرتم في تأنى

أرحتموني وروما

من الخصام المعني ١٦

ولكن أوريوس يطمئننها، فيقضي

أنطونيو الليلة في قصرها في حجرة اللائم

في جو من الرقص والغناء والشراب، حتى

يأتي وقت ذهابه وجنوده لاستئناف الحرب

مجددا. فتجدها في موقف تشجعه للذهاب

إلى الحرب عساه ينتصر حيث تقول:

امضي إلى الهيجاء أند

طونيو كما يمضي الأسد

إن الأسود في البلد

دونك في هذا الزرد

امض إلى المجد ولا

يقعدك شغل في البلد

يا ليث سر، يا نسر طر

عد ظافرا أو لا تعد ١٧

يعود أنطونيو إلى المعركة ويهزم ويفر

هربا هو وأوريوس إلى أن يلتقي بأوليوس،

لندن عام ١٩١٢م.

### أ- بجماليون عند برنارد شو:

نلاحظ من خلال قراءة مسرحية برنارد شو، أن الشخصية ليست أسطورية، وإنما شخصية مأخوذة من المجتمع وتعالج مشكلة الطبقة التي كانت سائدة في ذلك الوقت. ٢٠ وملخص المسرحية ما يلي:

يلتقي هنري هجنز Henry Higgins وهو عالم متخصص في علم الأصوات بفتاة فقيرة تبغ الزهور تدعى إليزا Eliza، فيعجب بصوتها ويؤكد لها أنه باستطاعته مساعدتها في تحسين مستواها اللغوي، وأنه يستطيع أن يخلق منها فتاة أرستوقراطية مهذبة اللغة نظيفة السلوك، وبعد بضعة أشهر من التدريب أقام هجنز حفلا في إحدى السفارات الأجنبية، وقدم للمدعوين إليزا على أنها أميرة تنتمي إلى إحدى الأسر الملكية الأوروبية، وفعلا نجحت الفتاة في ذلك ولفتت انتباه الحاضرين بلهجتها الانجليزية الراقية، وهكذا نجحت التجربة بالرغم من صلف الأستاذ واحتقاره لشأنها، يطلب هجنز الزواج من إليزا فهو يرى أن له الفضل في إعادة تربيتها من جديد، ولكنها في المقابل ترفضه محتجة في ذلك على أن مجتمعه الأرستقراطي مليء بالكذب والنفاق، فنضلت عليه شابا بسيطا ينتمي إلى طبقتها الدنيا لتعيش معه حياة هادئة ٢١.

نستطيع أن نقول بأن برنارد شو حاول تسليط الضوء على موضوع اجتماعي شائك متمثل في ظاهرة الطبقة الاجتماعية في المجتمع الإنجليزي من خلال روح الأسطورة القديمة، حيث نجده قد غير في كل من شخصياتها وأحداثها،

وأطلق العنان لخياله يرسم شخصياته الجديدة المستوحاة من وجوه في المجتمع، ووفق إلى حد بعيد في استغلال الأسطورة القديمة لمعالجة فكرة اجتماعية حديثة.

### ب- بجماليون عند توفيق الحكيم:

من بين الأدباء الذين حاكوا الأسطورة القديمة لبجماليون الأستاذ توفيق الحكيم، وكان أول ما لفته إليها لوحة شاهدها في متحف اللوفر بباريس، ثم بعد فترة من الزمن شاهد فلما سينمائيا عرض في القاهرة عن بجماليون مأخوذا عن مسرحية برنارد شو، فأعجب كثيرا بهذه الشخصية وكتب فيها مسرحيته الشهيرة "بجماليون".

رجع توفيق الحكيم إلى الأسطورة القديمة وتعمق فيها بخلاف ما فعل برنارد شو "تفاعل معها وهذا ما يسمى بالتمثل والتأثر" ٢٢. لقد نجح توفيق الحكيم في هذه المسرحية في إبراز الصراع بين روعة الفن لما يبلغ درجة المثالية أو درجة الإبداع العليا وبين واقع الحياة، لينتصر في النهاية للفن الذي يأتي على حساب الواقع.

بعدما ينتهي الفنان بجماليون من صنع التمثال جلاتيا ويهيم فيه إلى درجة العشق، يتطلع إلى أن يجد في التمثال روحا، فيتضرع للإلهة فينوس في أن تنفخ الروح في تمثاله الذي أفنى كل ماله ووقته في صنعه وطالما حلم به حيا.

بجماليون (من بعيد): فينوس فينوس أينها السخية بالهبات... امنحيني هبة واحدة، انفخي حرارة الحياة في تمثال جلاتيا... زوجتي جلاتيا العاجية... أعطها حياة يا آلهة الحب والحياة ٢٣. تتردد الآلهة فينوس في أول الأمر في

منح الروح للتمثال، لكن سرعان ما تشفق عليه وتبغتي مساعدته لكي ينظم إلى رعاياها.

- فينوس: (تتقدم نحو التمثال رافعة يديها إليه هاتفة) بأمرى يا جلاتيا الحية انعسي وانتظري حتى يوقظك بالقبلات زوجك بجماليون. ٢٤

وعندما يأتي بجماليون هو وصديقه نرسيس، ويلاحظان أن الستار الذي كان يغطي التمثال قد انكشف. ويدور حوار طويل بينهما حول الدعاء الذي كان يدعوهم للإلهة فينوس. وعندما يخرج نرسيس تبدأ جلاتيا بالتحرك وتنادي بجماليون، وعندما يفرح بجماليون ويشكر فينوس التي منحت الروح لجلاتيا. تبدأ الحياة الطبيعية بينهما "ولكن بجماليون الذي كان قد تعلق وجدانه بتمثاله، ينفر من زوجته حين يراها تحمل المكنتسة وتزاول أعمال البيت" ٢٥. وهكذا تزول عنها تلك الصورة المثالية التي كان يمنحها لها، وأصبحت عادية مثلها مثل باقي نساء العالم، إذ يقول لها: "لست أنت أثري الفني... إني لم أصنع امرأة في يدها مكنتسة" ٢٦.

هنا يثور الفنان على صورة المرأة الواقعية، فيدعو الإله أن يعيدها كما كانت في صورة تمثال عاجي. - "أيتها الآلهة... فينوس يا أبولون ردوا إلي عملي وخذوا عملكم... ردوا إلي فتى... أريدها تمثالا من العاج كما كانت" ٢٧.

تحقق له الآلهة ما أراد، وتعود جلاتيا إلى الصورة التي كانت عليها من قبل، فينهال عليها بالمكنتسة منتقما من التمثال الذي حرك غرائزه وجعله يتحول من فنان متجرد النظرة إلى رجل يشتهي المرأة حتى

أنه يطلب من فينوس أن تبعث فيها الحياة. واضح من خلال هذه المسرحية أنها تعبر عن ناحتين بارزتين، الأولى: تفضيل الفن على الحياة والواقع. والثانية نفور الفنان من المرأة؛ لأنه يرى فيها ملهه له عن فنه، فإنها بمثابة العقبة بين الفنان وفنه.

### ٥- نماذج إنسانية مصدرها أساطير شعبية:

#### أ- شهرزاد في الأدب العربي:

الأدب المقارن يفترض أن تدرس الشخصيات أو النماذج البشرية إلا إذا غدت عالمية، فيتناولها كبار الكتاب في مختلف الآداب العالمية، وإلا فإن الأدب المقارن يتخلى عنها للباحثين في الأدب الشعبي.

من بين هذه الشخصيات الشعبية شهرزاد التي تعتبر العنصر الأساسي في قصص ألف ليلة وليلة، ويميل أكثرها إلى الخوارق والأعاجيب ويتصل ألقها بالواقع. إلا أن جميعها تعيش في جو سحري غامض مليء بالألوان الزاهية والطبوب المخدرة المسكرة ٢٨.

قصص ألف ليلة وليلة هي مجموعة حكايات مجهولة المؤلف، ظلت تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق الرواية الشفوية ٢٩، ومصير كل الحكايات المروية تبقى دائماً مجهولة المؤلف أو المؤلفين، والليالي هي عبارة عن تصوير لجو شرقي غرق في الأوهام والأحلام، والحب والغرام واللذة والمتعة والبطولة والمغامرة والجان والعفاريت والقدر العجيب. تنصدر هذه الحكايات، حكاية الملك شهرير الذي صدم بخيانة زوجته، فقتلها وأقسم أن

ينتقم من بنات جنسها، فكان إذا ما تزوج فتاة يقتلها، وقد أدى هذا إلى هلع في المدينة. وذات يوم لم يبق في المدينة من يلب رغبته من الفتيات، فطلبت شهرزاد من والدها - وهو الوزير الأول- أن يزوجه من الملك، فقد كانت تفكر في إنقاذ ما تبقى من فتيات المملكة معتمدة في ذلك على ذكائها وما تحفظه من نوادر وحكايات، غير أن في طلبها هذا شرط وهو أن تصطحب أختها دنيا زاد في ليلتها. وما إن اختلى الملك شهرير بشهرزاد حتى ظهرت أختها دنيا زاد، وطلبت منها أن تحكي لها حكاية، قائلة: " بالله عليك يا أختي حديثنا حديثاً نقطع به سهر ليلتنا "٣٠. فقالت شهرزاد: "حبا وكرامة إن أذن لي الملك "٣١، فأذن لها الملك وبدأت بسرد حكاية، وما إن وصلت إلى عقدها المشوقة حتى أدركها الصباح، فكانت كلما يدركها الصباح حتى تسكت عن الكلام المباح. ووعدت أختها أن تكمل القصة في الليلة الثانية إذا أبقاها الملك ولم يقتلها، فكان شهرير يتشوق لمعرفة باقي الحكاية، فيؤجل قتلها إلى الليلة الثانية. وفي الليلة الثانية تتابع شهرزاد قصتها لتبدأ قصة جديدة أحلى وأجمل من الأولى، وهكذا استمر الحال حتى مرت ألف ليلة وليلة، أنجبت خلالها شهرزاد غلاماً، فامتنع الملك عن قتلها واعترف له بعفتها، ووجد فيها ما لم يجده في زوجته الخائنة، وبذلك أبطل عادته القديمة في قتل بنات المملكة، وعادت الرعية إلى حياة العدل والأمن والاطمئنان.

اللقاء بين الملك وابنة الوزير هو بمثابة اللقاء بين الموت والحياة، والنشر والخير، والقوة والضعف. فالملك يمثل السلطة التي

هزتها خيانة المرأة، فقرر الانتقام من كل بنات جنسها وذلك كي لا يصل مرة أخرى إلى خيانة إحداهن له. أما شهرزاد فكانت بمثابة طوق النجاة لبنات المملكة، فهي الوحيدة التي عرفت كيف تبطل قتل الملك لها. وأنجبت له أولاداً، وحكت العديد من الحكايات والنوادر التي قرأتها من الكتب وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم. عرفت شهرزاد بشخصيتها القوية، إذ صممت على البقاء حية في أحضان رجل همجي كل همه إرضاء شهواته، " وقد صورها الرومانتيكيون مثلاً لمن يهتدي إلى الحقيقة عن طريق القلب والعاطفة والإلهام "٣٢. كتب عن شخصية شهرزاد أدباء عرب كثر على رأسهم توفيق الحكيم في مسرحيته "شهرزاد"، كذلك في العمل المشترك بين توفيق الحكيم وطه حسين في قصة "القصر المسحور"، كذلك قصة "أحلام شهرزاد" لطله حسين والتي تناول فيها الجانب الثاني من حياة شهرزاد والملك شهرير؛ أي بعد انقضاء قصص ألف ليلة وليلة، بحيث يبدأ القصة بقوله. " فلما كانت الليلة التاسعة بعد الألف، أفاق شهرير من نومه مذعوراً...٣٣. بحيث أن الملك كان مشتاقاً إلى قصص وحكايات زوجته التي أبدعت في سردها " وكان الواقع من شهرير أن نفسه لم تسلم عن قصص شهرزاد منذ انتهت في الليلة الواحدة بعد الألف، وإنما كانت تحرق شوقاً إليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل "٣٤. يجعل الكاتب شهرزاد في هذه القصة تسرد حكاية الملكة فائقة وقصتها مع ملوك الجان وعقابها لهم عن طريق أحلام كان الملك يستمتع إليها وهي نائمة، فكانت مواصلة لحكايات اليقظة مع نفس الترتيب

الشخصية التي تكون بمثابة القالب الذي يصب فيه أفكاره، نأخذ على سبيل المثال ما فعله برنارد شو في كتابته عن شخصية بجماليون؛ حيث أخذ الفكرة عن القصة القديمة ونسج عليها أحداث جديدة. بخلاف ما قام به توفيق الحكيم مع القصة نفسها إذ نجده يحاكي القديم ويبت من خلاله الصراع الذي يعيشه هو شخصياً، وهو صراع بين الحياة والفن. إضافة إلى عنصر المرأة في حياته حيث ظهر نفوره منها من خلال المسرحية والمتمثلة في عزوف بجماليون عن الزواج.

- النموذج الإنساني لا يقتصر على عصر دون غيره، ولكنه يكتسب خصوصية في عصره أكثر من غيره، إذا توافرت له الظروف والعوامل، كما يختلف تناول النموذج الإنساني من أديب إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى باختلاف الثقافة والحياة الاجتماعية.

- لا يطمح الكاتب للحكم على النماذج من منظور أخلاقي أو عرقي، وإنما ينظر إليها نظرة فنية، تمكننا من معرفة النفس البشرية بفضائلها وذنابلها، في حالة قوتها وضعفها.

- يتخذ الأديب عادة تلك النماذج الإنسانية كوسيلة ليحرك الأعماق الخفية في مجتمعه، راصداً بها ما يطرأ عليه من تغيرات من ناحية، وللتعبير عن حسده وآماله من ناحية أخرى.

- يرمي هؤلاء الكتاب على اختلاف ميولهم إلى غاية واحدة هي: البحث عن تحرير الإنسانية وسعادتها، ونشر العدالة بين جميع أفرادها، مما تهدف إليه ولا تصل إليه.

وجد فيها مادة قصصية غزيرة بالأساليب الرائعة وتغليب الجانب الأسطوري على الليالي، إضافة إلى المضامين الإنسانية والأساليب الفنية الجديدة التي أعجب بها الكاتب بحيث أنه كان من الأدباء الذين انساقوا وراء سحر شهرزاد وحكاياتها الرائعة. صورت هذه الشخصية من يهتدي إلى الحقيقة عن طريق العاطفة، إضافة إلى أن القصص والحكايات التي كانت تحكى في هذا الكتاب رمزت إلى انتصار القلب والعاطفة على التفكير المجرد، وأكبر دليل على ذلك قصة علاء الدين والمصباح السحري الذي كان فيها نور الدين مثالا ورمزا للمفكر الذي لا يصل إلى الحقيقة لأنه يريد الاهتداء إليها بعقله في حين اهتدى إليها علاء الدين بسذاجته وطهره، وصار المصباح السحري بعد ذلك رمزا للعبقرية التي يصل المرء بواسطتها إلى كنوز المعرفة والسعادة عن طريق القلب والهداية والإنهام.

### خاتمة:

استطلعنا من خلال ما ورد في البحث أن نأخذ فكرة عن بعض النماذج البشرية التي اهتم الأدب بمختلف أنواعه بإبرازها، من خلال قصص ومسرحيات وملامح شعرية باختلاف كتابها واختلاف تجسيدهم لها. نستعرض فيما يلي مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

- يهتم الأديب بإعطاء النموذج المدرس بعض الخصائص التي يمتاز بها أديبه مع مراعاته للظروف الزمنية التي يعيش فيها، إلى جانب ذلك يعمل على إبراز ميوله الفكرية من خلال تلك

السابق؛ أي بعد أن يدركها الصباح تسكت عن الكلام المباح. كما أن طه حسين أعطى لشخصية شهرزاد في قصته هذه، صفات تتميز بالغموض والمكر والجمال والسحر، وهو في ذلك يقول: ... وشهرزاد تلك الساحرة الماكرة... وتختلس إليه من وقت إلى وقت نظرات كأنها السهام فيها كثير من العطف... وإنما عاشت خفية متلطفة له غامضة مع ذلك أشد الغموض." ٣٥

هكذا إذن تكون شهرزاد الشخصية الأساسية في قصص ألف ليلة وليلة، وهي كما - رأينا سابقاً - تحكي مجموعة من الحكايات والنوادر الأسطورية العجيبة يتصل أهلها بالواقع.

### ب- شهرزاد في الآداب الأوروبية:

انتقلت شخصية شهرزاد إلى الآداب الأوروبية عن طريق الترجمة التي قام بها بعض الأوروبيين من بينها أنطوان جالان A.Galland الذي قام لأول مرة في تاريخ أوروبا الأدبي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية ما بين (١٧٠٤م-١٧١٧م) في اثني عشر مجلداً ٣٦. نالت هذه الترجمة نجاحاً باهراً في فرنسا، تناقست عليها دور النشر وظلت مدى قرن من الزمن الترجمة الوحيدة التي عرف بها العالم الغربي (ليالي شهرزاد). ومن بين الكتاب الذين تأثروا بليالي شهرزاد الكاتب الفرنسي الكبير فولتير، وقد كان هذا الأديب مولعاً بالشرق؛ حيث أنه خصص له مجالاً واسعاً في موسوعته مقالات في العادات، وقد اطلع على ألف ليلة وليلة وتأثر بها كثيراً عن طريق الترجمة التي قام بها جالان حتى أنه قال: " لم يزاو فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربعة عشر مرة" ٣٧ لأنه

## مكتبة البحث:

- إبراهيم عبد الرحمن محمد، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م.
- محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- توفيق الحكيم، بجماليون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م.
- شريفني عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠١م.
- طه حسين، القصص والروايات، المجموعة الكاملة، الجزء الثاني، قصة أحلام شهرزاد
- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
- كامل درويش، والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، دت.

## الهوامش

- ١ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، دت، ص ٣٠٢.
- ٢ داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٠.
- ٣ المرجع نفسه، ص ٣٠.
- ٤ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٣٠٤.
- ٥ المرجع نفسه، ص ١٦٤.
- جون باب تيسست بوكلان الملقب بموليير، ولد عام ١٦٢٢م بباريس، من بين مسرحياته الهزلية "المتحدلقات السخيفات".
- ٦ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٣٠٤.
- م كارلو جولدوني: شاعر إيطالي، ولد عام ١٧٠٧م وتوفي عام ١٧٩٢م.
- ٧ طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٣٠.
- ط الفردوسي، (٩٢٢م-١٠٢١م)، من أكبر شعراء الفرس، له الشهامة.
- × عبد الرحمان الجامي، من مشاهير شعراء فارس، من مؤلفاته: ليلي والمجنون، شواهد النبوة.
- ٨ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٣١٣.
- ٩ طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ١٣٠.
- ١٠ محمد غنيمي هلال، مرجع سابق، ص ٣٢٢-٣٢٣.
- ١١ طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٢١٢.
- ١٢ المرجع نفسه، ص ٢١٤ نفسه.
- ١٣ المرجع نفسه، ص ٢١٦.
- ١٤ محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ١٥.
- ١٥ طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٢٢٠.
- ١٦ محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.
- ١٧ المرجع نفسه، ص ٤٢-٤٣.
- ١٨ المرجع نفسه، ص ٤٢-٤٣.

- ١٩ محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مرجع سابق، ٨١.
- ٢٠ إبراهيم عبد الرحمن محمد، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢١٧.
- ٢١ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ١١٢.
- ٢٢ أحمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص ٢٠٣.
- ٢٣ توفيق الحكيم، بجماليون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٢.
- ٢٤ توفيق الحكيم، بجماليون، مرجع سابق، ص ٣٨.
- ٢٥ أحمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٢٠٤.
- ٢٦ توفيق الحكيم، بجماليون، مرجع سابق، ص ١١٨.
- ٢٧ توفيق الحكيم، المرجع نفسه، ص ١٢٩.
- ٢٨ كامل درويش، والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص ٣٥.
- ٢٩ شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ٢٠٠١م، ص ٠٣.
- ٣٠ كامل درويش والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، مرجع سابق، ص ٣٦.
- ٣١ المرجع نفسه، ص ٣٦.
- ٣٢ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص ٣١٧.
- ٣٣ طه حسين، القصص والروايات، المجموعة الكاملة، الجزء الثاني، قصة أحلام شهرزاد، ص ٥١٣.
- ٣٤ المرجع نفسه، ص ٥٢٠.
- ٣٥ المرجع نفسه، ص ٥٢١.
- ٣٦ شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص ٤٣.
- ٣٧ المرجع نفسه، ص ١٥٧.